وتتطلب الواقعية من الكاتب موقفا وطنيا فعالا ورؤية تقدمية **تسمح له باستشفاف النزعة قبل ان تتحول الى ظاهرة** ، وبالتعبير عن علاقته بها ، ان مغزى الفن ، كما يقول تولستوي هو توحيد بني البشر · هذه المعادلة ، اذ تغتني بمضمون اجتماعي معين ، تساهم اليوم بصورة كاملة في الجدال المبدئي الايديولوجي للقرن العشرين بين الواقعية من جهة ، والحداثة التي يعتبر الاغتراب جوهرها واصلها ، من جهة اخرى » (٢) ·

ويساعد ايتماتوف على تصور حياة ابطاله الداخلية نزعته الى اقتناص اللحظات الطفولية في النفس البشرية « انا على يقين بأن الانسان يجب ان يحفظ افضل ما فيه عن الطبيعة » · « لئن رغبنا بالتحديق مليا في الطفولة فربما سنعاني شعورا مذهلا بالخلود » · « المحافظة على الطفل في الانسان ليست على الاطلاق خيالا او وهما لطيف مجرد ، بل شرطا ضروريا للحياة الكريمة القادمة ، فالطفولة ، برأيي مرادف دائم لشاعرية الروح الانسانية ، للابداع وحقيقة الالهام » · ويرتفع ايتماتوف بالطفولة الى معنى انساني شمولي ليكسبها قوة التجريد مع المحافظة على خصوصيتها ، كما فعل بالطفل في « السفينة البيضاء » انه رمز المستقبل الذي يحاول الاشرار والوصوليون عديمو الشرف ان يقتلوه · وكان موته تحذيرا رهيبا ودعوة للنضال ضد هؤلاء الطفيليين ·

ان ايتماتوف ليس وصافا للحياة وانما هو شاعرها ، لا يهتم بالاحداث العادية اليومية ، وانما يحشر ابطاله في ظروف غير عادية لاثبات جدارتهم ، او انهيارهم ، ليتجاوزوا ذواتهم وينتصرون او العكس · يبحث في قواهم الداخلية لكي يعيشوا « الحياة الكاملة » وما هي هذه الحياة الكاملة ؟ « معناها ان نعاني تلك الاحاسيس غير العادية والانطباعات التي تشكل الجوهر المكنون للحياة الحقة » · ،

دوستويفسكي حاول ان يفعل ذلك ، ولكن اكثر ابطاله كانوا من مثقفي ـ كان المدن ، فمن هم ابطال ايتماتوف ؟ « الكادحون ·· الكرامة التي يجسدها هؤلاء الخلاقون الارضيون الذين يحلمون بالعدالة الاجتماعية والسعادة للجميع · ان جموح هذا الحلم الذي اصبح مغزى الحياة ، يجعل الانسان العادي مساويا (يقصد في غناه الروحي) لذلك الذي يكتشف النجوم » · وايتماتوف يبحث دوما عن البطل النائم في الانسان . كما كان يفعل « اكسوبري » · ويكره العادية ويدينها · فالعادي هو الانسان المنغلق على نفسه في معارك القرن العشرين الهائلة ، الغارق في اهتماماته ومصالحه الخاصة التي تشكل في النهاية تعبيرا عن الانانية الاجتماعية « لهذا تراني اقدر في البطل اكثر من اي شيء اخر ، شعور العزة والاباء والطموح الى الحرية الداخلية ، ان تأكيد هذه المبادىء يمكن ان يتطلب من البطل اعظم تضحية » · ويقترب ايتماتوف بهذه الكلمات اقترابا كبيرا من آراء غوركي في الرومانسية الثورية ، ولكنه يعطيها بعدا جديدا · فابطاله سوفييتيون بنوا الثورة ، وهم اولاد الثورة بانجازاتها واحباطاتها ، ومن هنا جدة طرحه ·

---

(١) في الحديث الذي اجراه كوركين مراسل « المجلة الادبية » · **ملحق الثورة السورية** الثقافي ، العدد ٤٧ تاريخ ١٩٧٦/٧/١ ، ترجمة نوفل نيوف ·

(٢) **المصدر نفسه** ، والاستشهادات التي تليه ·